مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:687–709 تاريخ النشر:21–10–2021

عبد الرّحمن الثّعالبيّ ومنهجه في الاحتجاج بالشّعر من خلال تفسيره (الجواهر الحسان) - الجزء الأوّل والثّاني انموذجا-

Abdul Rahman al-Thaalbi and his approach to protesting poetry through his interpretation of (Al-jawaher al-hisan) -The first and second parts are a model -

د. حاج بنيرد
hbennaired@gmail.com
جامعة مولود معمري- تيزي وزو

تاريخ الإرسال: 02_12_2020 تاريخ القبول: 22_09_2021

I. الملخـــص:

حفلت أغلب كتب التّفاسير بمادّة شعريّة ضخمة لو جمعت لكانت دواوين كثيرة، أراد بها المفسّرون الاستشهاد على معانيهم وتأويلاتهم لمفردات القرآن وآياته، والاستئناس بها في ضبط الألفاظ، والاحتجاج للقراءات المختلفة، ولتقرير مسائل اللّغة أيضا؛ من صرف واشتقاق ونحو وبيان وبلاغة، ومنها المسائل الأصوليّة والكلاميّة، فقد صار الشّاهد الشّعريّ من وسائل الحِجاج بين المفسّرين وأدوات الفهم في ترجيح المعاني؛ بوصفه كلاما عربيّا فصيحا يُحتجّ به، واستعراضُ هذه الشّواهد يُعدّ دليلا على ملكة المفسّر وسعة اطّلاعه، قد يصل أحيانا إلى الإسهاب فيها، ويُلاحظ أنّ معظم هذه الشّواهد يتكرّر في كثير من التّفاسير، منها تفسير (الجواهر الحسان) لعبد الرّحمن الثّعالبيّ (ت875هـ)، فقد أخذ معظم شواهده من تفسير (المحرّر الوجيز) لابن عطية (ت542هـ) مع باقي المادّة الّتي لخّصها منه، فحذف معظمها وأبقى على أقلّها، يحاول

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:687–709 تاريخ النشر:21–10–2021

هذا البحث عرض ذلك بالتّتبّع والاستقراء والتّعليق، واستكناه منهج الثّعالبيّ في انتقائه لشواهده، من خلال عرض نوعيّة الشّاهد، ومواضع توظيفه في القراءات، واللّغة، والنّحو، والبيان والمعاني، وأصول الفقه والكلام، والرّقائق، والسّير والمغازي.

الكلمات المفتاحيّة: تفسير القرآن؛ منهج؛ شواهد شعريّة؛ الثّعالبيّ؛ الاحتجاج.

ABSTRACT:

Most of the books of interpretations celebrated a huge poetic material if collected would have been many diwans, wanted by the interpreters to cite their meanings and interpretations of the vocabulary of the Qur'an and its verses, and the use of them in the control of the words, and protest for different readings, and to decide the issues of language also; from the It is noted that most of these evidence is repeated in many interpretations, including the interpretation of (Al-jawaher Al-hissan) of Sheikh Abdul Rahman Al-thaalbi (d875h), he has taken most of his witnesses from the interpretation (Al-mouharer Al-wajiz) of Ibn Attia (d542h) with the rest of the article that summed it up from him, he deleted most of it and kept at least, this research tries to show that tracking and extrapolation and commentary.

Keywords: interpretation of the Qur'an; method; poetry witness; Al-thaalbi; protest.

المقدمـــة:

الحمد لله وحده، والصّلاة والسّلام على من لا نبيّ بعده، وبعد:

إنّ أيّ مناقشة لتفاصيل المعاني الواردة في تفسير الثّعالبي (ت875هـــ) إنّما هي في الحقيقة عرض ومناقشة لمن أخذ عنهم الثّعالبي وليست مناقشة له، وعلى رأسهم تفسير المحرّر الوجيز لابن عطية المحاربي (ت541هـــ)، باعتباره نواة تفسير الثّعالبي، ولذلك

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:687–709 تاريخ النشر:21–10–2021

نعتقد أنّ مناقشة منهج الثّعالبي في التّفسير ينبغي أن تتّجه نحو عمله هو وليس عمل ابن عطية، وقد وقع الكثير من الدّارسين في هذا الخطإ المنهجي أثناء دراستهم لمنهج الثّعالبي في التّفسير، ينبغي أن ينصرف الاهتمام إلى ما قبل التّأليف وإلى ما بعده، ونقصد بما قبل التّأليف معايير الثّعالبي في انتقاء مصادره، ثمّ معاييره في انتقاء مادّته من كلّ مصدر، بالانتقاء والاختصار والحذف، وما بعد التّأليف بكيفية رصّه للمادّة المنتقاة وترتيبها، وعليه يمكن تلخيص منهج الثّعالبي في وضعه لتفسير (الجواهر الحسان) بما يلي: الانتقاء، والاختصار، والحذف، والتّهذيب، والزّيادات، والتّرتيب، والتّذييل. وهو ملخّص منهج الثّعالبي فيما اطّلعنا عليه ليس في هذا التّفسير فحسب، بل في سائر مؤلّفاته، والله أعلم.

يُعدّ عبد الرّحمن الثّعالبي من أعيان الجزائر ووجهائها علما وشرفا ومكانة سياسيّة في مجتمع القرن التّاسع الهجري، أعقاب سقوط الأندلس وتوالي النّكبات على الأمّة الإسلاميّة شرقها وغربها، ومحليا ما عانته قبيلته قبيلة الثّعالبة من تجاذبات وتطاحنات الصّراع في المغرب الكبير كونهم في قلب هذا الصّراع، إضافة إلى التّهديد الإسباني البرتغالي على سواحل الجزائر، برز الثّعالبي مربّيا وموجّها وعالما ربّانيّا ينير طريق أمّته، وقد ساهم في ذلك، وبذلك برزت شخصيّته، وقد تميّزت شخصيّته العلميّة بأمرين بارزين؛ وهما نزعة التّصوّف، ونزعة علوم النّقل أو الحديث، ساهم في ذلك تكوينه العلمي في تونس والمشرق، إضافة إلى الظروف الّتي عايشها وتأثّر بها في موطنه، ويتجلّى هذان الأمران من خلال مؤلّفاته الّتي ناهزت تسعين مؤلّفا، يأتي في مقدّمتها كتابه الجليل تفسير (الجواهر الحسان) وذيليه؛ المعجم المختصر ومجموعة مرائيه، يتبيّن في مجملها؛ ومنهجه إجمالا فيه هو:

– منهج النّقل أو التّحديث أو الرّواية، وقد تحدّث عن نفسه أنّه عندما عاد من المشرق إلى تونس لم يوجد بها من ينافسه في رواية الحديث وخاصة صحيح البخاري،

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:687–709 تاريخ النشر:21–10–2021

وهو ما يفسّر لنا اعتماده على منهج النّقل في كتابه (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، من خلال شحنه بالرّوايات، ومن خلال اعتماده على كتب التّفاسير والحديث السّابقة في مقدّمتها (المحرّر الوجيز) لابن عطية المحاربي (ت541هـ) وغيرها.

– منهج العقل: من خلال طريقة التأليف نفسها فقد اعتمد على التّهذيب والترتيب والتبويب والانتقاء وهذه كلّها مهارات عقلية، إضافة إلى اعتماده على تمحيص المنقولات حكما ونقدا وحتّى توقّفا.

– منهج أهل الله أو أهل الحقائق، باعتماد التّجربة الذّوقيّة الصّوفيّة، وهي لمسات أو أحوال تعتري السّائر إلى الله، وقد رأى أو رويت له مرائي أثناء تأليفه كتاب (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) فدوّنها وجمعها، ورأى أنّها من أسرار الله الّتي لا تُحكى إلا لأهل الحقيقة ومعهم، ومن ذلك استشهاده بالشّعر واحتجاجه بالكلام العربيّ الفصيح.

وقدّ تنوّع توظيف الشّاهد الشّعريّ عند الثّعالبيّ تبعا لتنوّعه عند ابن عطية المحاربي، ولذلك فمنهج الثّعالبيّ في توظيف الشّاهد الشّعريّ تبع لمنهجه العامّ في الحذف والانتقاء والاختصار، ولذلك نراه يحذف الكثير منها أثناء نقله من مصادره، وتتبّع ذلك ممّا يطول، ويستدعي مقارنتها بنظيرتها في المصادر الّتي استقى منها الثّعالبيّ مادّة تفسيره، وهذا يتطلّب التّتبّع والاستقراء والمقارنة.

– **الإشكاليّة**: فإلى أيّ مدى استجابت قريحة الثّعالبيّ ذات النّزعة العقليّة إلى الاحتجاج باللّغة؟ وإلى أي مدى كان حضور الشّعر العربي ماثلا في تفسيره؟ وهل كان لكثرة احتجاج ابن عطية بالشّعر أثرا في احتجاج الثّعالبيّ به؟ وهل انفرد الثّعالبيّ عنه في الاعتماد على الشّاهد الشّعريّ؟

– **منهج البحث**: يحاول هذا البحث الإجابة عن هذه التّساؤلات عن طريق **تتبّع واستقراء** تفسير الثّعالبيّ مع **مقارنته** بتفسير ابن عطية، ثمّ ترتيبها وفق الموضوعات

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:687–709 تاريخ النشر:21–10–2021

(مفردات، نحو، قراءات، معاني، أصول)، واقتصرنا على الجزء الأوّل والثّاني منه؛ أي مقدّمات التّفسير وتفسير سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران.

– **خطّة البحث**: ارتأينا تقسيم البحث إلى ثلاثة عناصر رئيسيّة؛ تنطلق من العامّ إلى الخاصّ فالأخصّ؛ وهي: التّقديم بتعريف تفسير (الجواهر الحسان)، وعرض مكانته وأهمّيته بين تفاسير الغرب الإسلاميّ، وأشرنا إلى منهجه في تأليفه وترصيع جواهره من خلال عملية الانتقاء والاختصار والحذف، ليخلص البحث إلى مكانة الشّاهد الشّعريّ في تفسيره، ومدى اعتناء الثّعالبي بالمادّة الشّعريّة أثناء عمليّة الانتقاء والحذف والاختصار.

1. التّعريف بتفسير (الجواهر الحسان): الكتاب هو تفسير (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) لأبي زيد عبد الرّحمن بن محمّد بن مخلوف الثّعالبي –رحمه الله– (ت875هـ)، وذيّله بمعجم لغوي لشرح الغريب الوارد فيه اعتمادا على أمّهات المعاجم، وقد طُبع أكثر من مرّة، أولى طبعاته بالمطبعة الثّعالبيّة سنة 1327هـ طبعة قديمة، بتصحيح محمّد بن مصطفى ابن الخوجة (ت1914م)، وهي النّسخة الّتي اعتمد عليها عمار طالبي لتحقيق هذا التّفسير، فأعاد ما نشره ابن الخوجة وطبع بالمؤسّسة الوطنيّة للكتاب، وأعادت وزارة الثّقافة نشره سنة 2007م، وحقّقه محمّد الفاضلي وطبع بالمكتبة العصريّة ببيروت سنة 1417هـ، وحقّقه علي محمّد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود بمشاركة عبد الفتّاح أبو سنة، ونشر بدار إحياء التّراث العربي ومؤسسّة التّاريخ العربي ببيروت سنة 1997م، وحقّقه آخرون أمثال مصطفى الغماري وغيره، وهذا يدلّ على قيمة هذا التّفسير واعتناء العلماء والدّارسين والنّاشرين به، كما تناولته عديد الدّراسات الأكاديميّة بالدّرس والبحث والتّحليل، منها دراسة بعنوان (عبد الرّحمن الثّعالبيّ ومنهجه في التّفسير) رسالة ماجستير من إعداد عبد الحقّ عبد الدّائم يف القاضي بالجامعة الإسلاميّة سنة 1405هـ، وقد قال الباحث فيه: "جاء تفسير الثّعالبي سديدا في منهجه وعذوبة مورده،

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:687–709 تاريخ النشر:21–10–2021

بعيدا عن الحشو والتّطويل وفضول الكلام"[1]. ويعدّ مرجعا مهمّا في بابه لأنه يعتبر عصارة تفسير ابن عطية الذي يعتبره ابن خلدون عصارة التفاسير المتقدمة عليه.

وتفسير الثّعالبي احتوى خلاصة التّفاسير المعتمدة في عصره في الغرب الإسلاميّ، وقد فسّره على المعتمد من مذاهب أهل السّنّة في تفسير القرآن، وهو أنّه قد فسّر كتاب الله بعضه ببعض، وفسّره بالحديث النّبويّ الشّريف، وبآثار الصّحابة والتّابعين، كما استخدم آلات التّفسير من اللّغة وشرح الغريب والإعراب، كما ذكر مسائل ومباحث من علم أصول العقائد والفقه وفروعه وأسباب النّزول، وكان مقلّا منها، واستئناسه ببعض الإسرائيليّات، واحتجاجه بالقراءات المتواترة مع عدم إغفال الشّاذّ منها، على الحدّ الّذي ارتأى أنّه يُفيد تفسيره.

والثّعالبي يَعُدّ تفسيره أهمّ كتبه وأعظمها، نراه يرغّب في دراسته وتنشيط النّاس إليه وترغيبهم فيه، ولذلك ذيّله بمعجم لغويّ صغير لشرح غريبه، وشفّعه بكتاب المرائي؛ فجمع المرائي الّتي رآها أثناء تصنيفه لهذا التّفسير أو رؤيت له، وهذا أيضا من باب إظهار فضل تفسيره وبركته؛ يقول الثّعالبي في ذلك: "فمن أعمّها وأعظمها –يقصد مصنّفاته– بركة كتابنا (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، وقد رأيت له بحمد الله عجائب وبركات وبشارات متواليات، وكذا رأى له غيري عجائب وبركات، وقد جمعت في ذلك جزءاً .. فجرّدتها بعون الله وأمرت أصحابي بإلحاقها بآخر التّفسير، تنشيطاً لطلبة العلم وتقوية ليقينهم، .."[2]. كما عدّه وعرّفه تلامذته بصاحب (الجواهر الحسان) وبه

[1] – الطّرهوني، محمّد بن رزق، التّفسير والمفسّرون في غرب إفريقيا، دار ابن الجوزي للنّشر والتّوزيع، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1426هـ، ج2ص599.

[2] – الثّعالبي، عبد الرحمن، غنيمة الوافد وبغية الطّالب الماجد، تحقيق: محمّد شايب شريف، عالم المعرفة، الجزائر، 2011م، ص26.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:687–709 تاريخ النشر:21–10–2021

اشتهر، يقول مثلا تلميذه عبد الجليل بن محمّد الزّروالي الرّاشدي في استجازته لمصنّفات شيخه: ".. المؤلّف في كلّ فنّ من علوم الكتاب والسّنن تأليفات حسان؛ أعظمها الجواهر الحسان في علوم القرآن"[1].

وقد ذكر الثّعالبي أنّ أحد الفضلاء قرّظ تفسيره ووصفه أحسن وصف بأبيات[2]: [الطّويل]

جَوَاهِرُ جَاءَتْ مِنْ إِمَامٍ مُحَصِّلٍ جَزَاهُ إِلَهُ الخَلْقِ خَيْرَ جَـــزَاءِ
أَبَا زَيْدٍ الحَبْرِ الوَلِيِّ إِمَامِنَـــــا وَمَلْجَأُنَـــا فِي شِدَّةٍ وَرَخَاءِ
أَبَانَتْ لَنَا تَفْسِيرَ مَعْنَى كِتابِـــهِ فَيَفْهَمُهُ التَّـــالِي بِغَيْرِ عَنَـــاءِ
فَحُقَّ لَهَا يَا صَاحِ تُدْعَى جَوَاهِراً وَجَامِعُهَا مِنْ سَادَةِ الْعُلَمَـــاءِ
حَوَتْ باخْتِصارِ جَامِعِ ابنِ عَطِيَّةٍ وَزادَتْ بِأَسْرارٍ وَحُسْنِ شِفَاءِ
هَنِيئـــاً لَهُ إِذْ كَـــانَ خَيْرَ مُؤَلِّفٍ لِخَيْرِ كِتَابٍ سَاطِعٍ بِسَنَـــاءِ
أَدَامَ بِهِ رَبُّ العِبـــَادِ اِنْتِفَاعَنَـــا وَأَمْتَعَنَا مِنْهُ بِطُـــولِ بَقَـــاءِ
أَيَا سَيِّدِي هَلْ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَـــةٌ لِيَرْقَى عُبَيْدٌ لِرُتْبَةِ السُّعَـــدَاءِ
وَتَصْلُـــحُ دُنْيَاهُ وَيَكْمُلُ دِينُـــهُ وَيَحْظَى بِرِضْوَانٍ وَخَيْرِ جَزَاءِ

وتفسير الثّعالبي تفسير ممزوج، فيه خلاصة كتب التّفاسير والحديث والرّقائق واللّغة، اقتطف من كلّ بستان زهرة، وانتقى من كلّ كتاب جوهره ولبابه، لذلك نستطيع أن نقول أنّه مجموعة من الجواهر الحسان الّتي انتقاها وهذّبها ورتّبها على أحسن وجه أمكنه.

[1] – المرجع السّابق، ص79.
[2] – المرجع نفسه، ص27، مع ملاحظة بعض اختلال الوزن في بعض الأبيات.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:687–709 تاريخ النشر:21–10–2021

2. شواهد الشّعر في تفسير الثّعالبيّ: لم يول الثّعالبيّ –رحمه الله تعالى– اهتماما كبير للشّواهد الشّعريّة في تقرير المسائل الّتي أوردها في تفسيره؛ سواء في شرح مفردات القرآن الكريم، أم في القراءات، أم في تقرير مسائل اللّغة من تصريف ونحو وبلاغة ونحوها، إلّا النّزر اليسير الّذي لا يمكنه أن يتجاوزه أثناء عملية النّقل، وأغلب الشّواهد الّتي ذكرها قد اعتمد فيها على ابن عطية، ولم يخالفه إلّا قليلا، واستعان بالشّواهد في شرح مفردات القرآن الكريم، والقراءات، والنّحو، والبيان، وبعض مسائل علم الأصول، والثّعالبيّ في كلّ ذلك مدرك لما ينقله وما يسقطه أو يدعه، فهو في بعض الأحيان يشير إلى وجود شواهد شعريّة دون ذكرها، ويكتفي بالإحالة إليها.

2. 1. شواهد في شرح مفردات القرآن الكريم:

– في لفظة "القرآن" ذكر لها معنيين نقلا عن ابن عطية؛ بمعنى القراءة والتّلاوة، وبمعنى التّأليف والجمع، ومنه قوله تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَه) [القيامة: 17]؛ أي تأليفه، والقول الّذي مال إليه ابن عطية هو القول الأوّل، وتبعه الثّعالبيّ في ذلك، وحذف الثّعالبيّ شاهدا شعريّا لابن عطية في القول الثّاني واكتفى بالآية، وأمّا القول الآخر فاستأنس بما نقله ابن عطية، وهو قول حسّان بن ثابت في رثاء عثمان بن عفّان[1]: [البسيط]

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقُرْآنَا

وأمّا لفظة "الكتاب" فهو بمعنى الجمع، ومنه كتيبة لاجتماعها؛ واكتفى الثّعالبيّ بمحلّ الشّاهد في قول الشّاعر[2]: [البسيط]

[1] – المحرر الوجيز، ج1ص56.

[2] – الجواهر الحسان، ج1ص150، 151، والشّطر منسوب لسالم بن دارة الفزاري، وتمام البيت:
وَإِنْ خَلَوْتُ بِهِ فِي الأَرْضِ وَحْدَكُمَا فَاحْفَظْ قُلُوصَكَ وَاكْتُبْهَا بِأَسْيَارِ

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:687–709 تاريخ النشر:21–10–2021

وَاُكْتُبْهَا بِأَسْيَارِ

وفي كلمة "سورة" أورد لغاتها ومعانيها بالهمز والتّسهيل؛ "سؤرة" بمعنى قطعة، وأيضا "سورة" بنفس المعنى من سورة البناء؛ أي القطعة منه، وكذلك سورة القرآن قطع منه، ويقال أيضا للمكانة الرّفيعة من المجد والملك سورة، وذكر شاهدا للنّابغة في مدح النّعمان بن المنذر[1]: [الطّويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اَللهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةً تَرَ كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ

– في كلمة "الدّين" وشواهد معانيها في تفسير آية الفاتحة: (مَلِكِ يَوْمِ اَلدِّين)، اكتفى الثّعالبي بمعنى واحد، وهو دِنْتُه بمعنى جزيته، ومنه قول الشّاعر[2]: [الكامل]

وَاعْلَمْ يَقِيناً أَنَّ مُلْكَكَ زَائِلٌ وَاعْلَمْ بِأَنَّ كَمَا تُدِينُ تُدَانُ

بينما نراه لم يفسّر كلمة "ملك"، في حين ذكر لها ابن عطية عدّة معان مع تعدّد قراءاتها بالمدّ والسّكون والإشباع، واستشهد بأربعة عشر شاهدا شعريّا[3].

– كلمة "الصّراط": الطّريق الواضح؛ وهو قول جرير[4]: [الوافر]

أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ إِذَا اِعْوَجَّ المَوارِدُ مُسْتَقِيمُ

– ومنها عند تفسير قوله تعالى: (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ اَلْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّون) في معنى "أمانيّ"؛ من تمنّى إذا ترجّى، أو إذا تلا، ومنه قول الشّاعر[5]: [الطّويل]

[1] – المرجع السّابق، ج1ص152، 153.

[2] – المرجع نفسه، ج1ص164، 165.

[3] – انظر: المحرر الوجيز، ج1ص67، 68.

[4] – الجواهر الحسان، ج1ص167.

[5] – المرجع السّابق، ج1ص268، وتفسير ابن عطية، ج1ص169.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:687–709 تاريخ النشر:21–10–2021

تَمَنَّى كِتَابَ اَللهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ وَآخِرُهُ لَاقَى حِمَامَ المَقَادِرِ

– وعند تفسير قوله تعالى: (وَمَا يُعَلِّمَانِ مَن أَحَدٍ ...) الآية؛ في معنى التّعليم، يُعلمان بمعنى يشعران؛ واستشهد بشعر كعب بن زهير[1]: [الطّويل]

تَعَلَّمْ رَسُولَ اَللهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي وَأَنَّ وَعِيداً مِنْكَ كَالأَخْذِ بالْيَدِ

– وفي تفسير قوله تعالى: (وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ اَلسَّبِيل)؛ في معنى السّواء من كلّ شيء الوسط والمعظّم؛ قال حسّان بن ثابت في رثاء النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–[2]: [الكامل]

يَا وَيْحَ أَنْصَارِ اَلنَّبِيِّ وَرَهْطِهِ بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِي سَوَاءِ الْمَلْحَدِ

– وفي تفسير قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِر ..) الآية؛ في شرح كلمة "خمر"؛ وأصل الكلمة مأخوذ من السّتر؛ ومنه خمار المرأة، وخَمَر الطّريق ما واراك من شجر وغيره؛ ومنه قول الشّاعر[3]: [الوافر]

أَلَا يَا زَيْدُ وَالضَّحَاكُ سِيرَا فَقَدْ جَاوَزْتُمَا خَمَرَ اَلطَّرِيقِ

– وفي قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا اَلّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ اَلصِّيامُ ..) الآية؛ معنى الصّيام في اللّغة الإمساك وترك التّنقّل من حال إلى حال، ومنه قول النّابغة: [البسيط]

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ العَجَاجِ وَخَيْلٌ تَعْلِكُ اللُّجُمَا

أي خيل ثابتة ممسكة، ومنه قوله تعالى: (إِنّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْما) [مريم: 26]؛ أي إمساكا عن الكلام، منه قول امرئ القيس: [الطّويل]

[1] – الجواهر الحسان، ج1ص289، 290. وتفسير ابن عطية، ج1ص187.
[2] – المرجع السّابق، ج1ص301، وتفسير ابن عطية المحاربي، ج1ص196.
[3] – المرجع نفسه، ج1ص439، وتفسير ابن عطية، ج1ص292.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:687–709 تاريخ النشر:21–10–2021

كَأَنَّ اَلثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا

أي في موضع ثبوتها وإمساكها، ومنه قوله: [الطّويل]

فَدَعْ ذَا وَسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ ذَمُولٍ إِذَا صَامَ اَلنَّهَارُ وَهَجَّرَا

أي وقفت الشّمس عن الانتقال وثبتت"[1]. وهي أبيات ذكرها ابن عطية وأسقطها الثّعالبي.

– وعند تفسير قوله تعالى: (وَمَا يُعَلِّمَانِ مَن أَحَدٍ ...) الآية؛ في معنى التّعليم، يُعلمان بمعنى يشعران؛ واستشهد بشعر كعب بن زهير[2]: [الطّويل]

تَعَلَّمْ رَسُولَ اَللهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي وَأَنَّ وَعِيداً مِنْكَ كَالأَخْذِ بِالْيَدِ

– وفي تفسير قوله تعالى: (وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ اَلسَّبِيلِ)؛ في معنى السّواء من كلّ شيء الوسط والمعظّم؛ قال حسّان بن ثابت في رثاء النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–[3]: [الكامل]

يَا وَيْحَ أَنْصَارِ اَلنَّبِيِّ وَرَهْطِهِ بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِي سَوَاءِ الْمَلْحَدِ

– وفي (فُومِها) الفوم لغة في الثّوم، وهي قراءة ابن مسعود، وعلّق الثّعالبي من تفسير الدّاوودي أنّ ذلك أشبه لما ذكر من العدس والبصل[4]، وأسقط بيتا عند ابن عطية وقيل الفوم الحنطة؛ وأنشد ابن عبّاس عن أحيحة بن الجلاح[5]: [الطّويل]

قَدْ كُنْتُ أَغْنَى اَلنَّاسِ شَخْصاً وَاجِداً ورد الْمَدِينَة عَنْ زِرَاعَةِ فُومِ

[1] – المحرر الوجيز، ج1ص249، 250.

[2] – الجواهر الحسان، ج1ص289، 290، وتفسير ابن عطية، ج1ص187.

[3] – المرجع السّابق، ج1ص301، وتفسير ابن عطية المحاربي، ج1ص196.

[4] – المرجع نفسه، ج1ص250.

[5] – المحرر الوجيز، ج1ص153.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:687–709 تاريخ النشر:21–10–2021

– وفي قوله تعالى: (قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ) الآية [آل عمران: 52]؛ في شرح لفظة "الحواريّين"، استحضر لفظة "الحَوَر" بمعنى البياض، وحوّرت الثّوب بيّضته، وقد تسمّي العرب النّساء السّاكنات في الأمصار الحواريات لغلبة البياض عليها؛ ومنه قول قول أبي جلدة اليشكريّ[1]: [الطّويل]

فَقُلْ لِلْحَوَارِيّاتِ يَبْكِينَ غَيْرَنَا وَلَا تَبْكِنَا إِلَّا الْكِلَابُ النَّوابِحُ

– وفي قوله تعالى: (يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِين) الآية [آل عمران: 100]، في شرح معنى "يردّوكم" استعان بالصّفاقسيّ ونقل شاهدا شعريّا عنه، فقال: ردّ بمعنى صيّر، فيتعدّى إلى مفعولين، الأوّل الكاف والثّاني "كافرين"؛ كقول الشّاعر:[2] [الوافر]

فَرَدَّ شُعورَهُنَّ السُّودَ بيضاً وَرَدَّ وُجوهَهُنَّ البيضَ سُودَا

– **في نقد الشّاهد الشّعري**: لا يتوانى الثّعالبي في إيراد نقد الشّواهد الشّعريّة في تفسيره تبعا لابن عطية، وربّما علّق على ذلك أيضا، كما في (السَّلْوَى) يأتي بالشّاهد ليخطّئه، قال الكسائي: السّلوى واحدة جمعها سلاوى، والسّلوى اسم مقصور لا يظهر فيه الإعراب، لأنّ آخره ألف، و الألف حرف هوائيّ أشبه الحركة فاستحالت حركته ولو حرّك لرجع حرفا آخر، وقد غلط الهذلي؛ فقال: [الطّويل]

وَقَاسَمَهَا بِاللهِ عَهْداً لأَنْتُمُ أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نَشُورُهَا

ظنّ السّلوى العسل[3]. وعلّق عليه الثّعالبيّ بتعقيب الصّفاقسيّ عليه: "قد نقل صاحب المختصر أنّه يطلق على العسل لغة فلا وجه لتغليطه، لأنّ إجماع المفسّرين لا يمنع من إطلاقه لغة بمعنى آخر في غير الآية"[1].

[1] – الجواهر الحسان، ج2ص49، 50، والمحرّر الوجيز، ج1ص442.
[2] – المرجع السّابق، ج2ص83.
[3] – المحرر الوجيز، ج1ص149.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:687–709 تاريخ النشر:21–10–2021

2. 2. شواهد في النّحو:

– قلّما يورد الثّعالبيّ شواهد شعريّة في الإعراب والنّحو، فإن نقلها ففي سياق الاختصار، منها ما نقله عن (مختصر الطّبريّ) في تفسير قوله تعالى: (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون)، في توجيه معنى "لعلّ" بين المعنى الأصليّ لها وهو التّرجّي والتّوقّع، وبين مراعاة مقام العبودية فتقتضي أن تكون بمعنى "كي" أو لام "كي"، فيكون المعنى لتتّقوا، وشواهد هذا موجودة في كلام العرب؛ كقول الشّاعر[2]: [الطّويل]

وَقُلْتُمْ لَنَا كُفُّوا الحُرُوبَ لَعَلَّنا نَكُفُّ وَوَثَّقْتُمْ لَنَا كُلَّ مَوْثِقِ

– وفي قوله تعالى: (إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِك)، اعتمد على الجوهري لشرح كلمة "عوان": "والعَوان النّصف في سنّها من كلّ شيء، والجمع عون"، وفي إعرابها قال: رُفعت على خبر ابتداء مضمر، تقديره: هي عوان، والعوان الّتي قد ولدت مرّة بعد مرّة، واستزاد من نظم زين الدّين العراقي لغريب القرآن جمع أبي حيان[3]:

مَعْنَى عَوَانٌ نَصَفٌ بَيْنَ الصِّغَرْ وَبَيْنَ مَا قَدْ بَلَغَتْ سِنَّ الْكِبَرْ

– وفي قوله تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) قال: "استثناء متّصل، قاله ابن عبّاس وغيره؛ أي لئلّا تكون حجّة من اليهود المعاندين القائلين ما تركنا قبلتنا، وتوّجه للكعبة إلّا حبّا لبلده، وقيل: منقطع؛ أي لكن الّذين ظلموا منهم فإنّهم يتعلّقون عليكم بالشّبه، وزعم أبو عبيدة معمر بن المثنّى: إنّ "إلّا" في الآية بمعنى الواو، قال: ومنه: [الوافر]

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ

[1] – الجواهر الحسان، ج1ص245، 246.

[2] – المرجع السّابق، ج1ص195.

[3] – المرجع نفسه، ج1ص260، 261.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:687–709 تاريخ النشر:21–10–2021

أي: والّذين ظلموا، والفرقدان، ورُدّ بأنّ "إلّا" بمعنى الواو ولا يقوم عليه دليل"[1].

– وفي قوله تعالى: (وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ)؛ نقل من الصّفاقسي: "الكاف للتّشبيه، وهو في موضع نصب على النّعت لمصدر محذوف، و"ما" مصدريّة؛ أي كهدايته، فتكون "ما" وما بعدها في موضع جرّ؛ إذ ينسبك منها مع الفعل مصدر، ويحتمل أن تكون للتّعليل على مذهب الأخفش وابن برهان، وجوّز ابن عطية وغيره أن تكون "ما" كافّة للعمل، والأوّل أولى، لأنّ فيه إقرار الكاف على عملها الجرّ، وقد منع صاحب (المستوفى) أن تكون الكاف مكفوفة بـــ "ما"، واحتجّ من أثبته بقوله: [الوافر]

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي وَأَبَا حُمَيْدٍ كَمَا اَلنِّسْوَانُ وَاَلرَّجُلُ الْحَلِيمُ
أُرِيدُ هِجَاءَهُ وَأَخَافُ رَبِّي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ عَبْدٌ لَئِيمُ"[2]

2. 3. شواهد في المعاني:

– (وَأَنْزَلَ مِنَ السّماءِ) يريد السّحاب، سمّي بذلك تجوّزا لّما كان يلي السّماء، وقد سمّوا المطر سماء للمجاورة، ومنه قول الشّاعر: [الوافر]

إِذَا نَزَلَ السَّماءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَابَا"[3]

– وعند ذكر إبليس والجنّ في تفسير قوله تعالى: (وإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اُسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاِسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِين) [البقرة: 34]، استشهد ببيت للأعشى في ذكر سليمان –عليه السّلام–[4]: [الطّويل]

[1] – المرجع نفسه، ج1ص333، وتفسير ابن عطية، ج1ص225 بتصرّف من الثّعالبي ودون الشّاهد الشّعريّ عند ابن عطية والعبارة الّتي سبقته.

[2] – الجواهر الحسان، ج1ص421.

[3] – المرجع السّابق، ج1ص196، وتفسير ابن عطية، ج1ص105.

[4] – المرجع نفسه، ج1ص216، وتفسير ابن عطية، ج1ص125.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:687–709 تاريخ النشر:21–10–2021

وَسَخَّرَ مِنْ جِنِّ الْمَلَائِكِ تِسْعَةً قِيَاماً لَدَيْهِ يَعْمَلُونَ بَلَا أجْرِ

وينقل بعدها من كلام عياض في (الشّفا) في أصل إبليس –لعنه الله–.

– وفي قوله تعالى: (عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظ) الآية [آل عمران: 119]؛ كناية عن شدّة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه؛ ومنه قول أبي طالب[1]: [الطّويل]

يَعُضُّونَ غَيْظاً خَلْفَنَا بالأَنَامِلِ

– وفي قوله تعالى: (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُه) الآية [آل عمران: 140]؛ في معنى التّسلية بعموم الضّرر وتخفيف الأثر؛ استشهد بشعر الخنساء في رثاء أخيها صخرا[2]: [الوافر]

وَلَولَا كَثْرَةُ الْباكينَ حَــوْلي عَلى إخْوانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي

وَما يَبْكونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أُعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأَسِي

– وفي قوله تعالى: (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيد) [آل عمران: 182]؛ في معاني صيغ المبالغة نقل من الصّفاقسيّ أنّ المراد نفي القليل والكثير من الظّلم؛ كقول طرفة[3]: [الطّويل]

وَلَسْتُ بِحَلَّالِ التِّلَاعِ مَخَافَةً وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ القَوْمُ أرْفِدِ

ولا يريد أنّه قد يحلّ القلاع قليلا.

2. 4. شواهد في القراءات:

– في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِين ..) الآية، أدرج من الصّفاقسيّ في قراءة "الصّابئين"؛ قال: "قرأ الأكثر بالهمز؛ صَبَأَ النّجم والسّنّ إذا

[1] – المرجع نفسه، ج2ص98، والمحرّر الوجيز، ج1ص497.

[2] – المرجع نفسه، ج2ص114، والمحرّر الوجيز، ج1ص513.

[3] – الجواهر الحسان، ج2ص144، 145. ولم يذكره ابن عطية.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:687–709 تاريخ النشر:21–10–2021

خرج؛ أي خرجوا من دين مشهور إلى غيره، وقرأ نافع بغير همز، فيُحتمل أن يكون من المهموز المسهّل، فيكون بمعنى الأوّل، ويحتمل أن يكون من صَبَا غير مهموز؛ أي مال؛ ومنه: [الهزج]

إِلَى هِنْدٍ صَبَا قَلْبِي وَهِنْدٌ مِثْلُهَا يُصْبِي"[1]

ثمّ عقّب الثّعالبيّ بشرح ابن عطية: "والصّابئ في اللّغة من خرج من دين إلى دين"[2].

– وفي قوله تعالى: (وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوف) الآية؛ قرأها السّتّة من السّبعة (آتيتم) بالمدّ؛ بمعنى أعطيتم، وقرأ ابن كثير "أَتَيْتُمْ" بمعنى فعلتم؛ كما قال زهير[3]: [الطّويل]

وَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ

2. 5. المسائل الأصوليّة: يذكر شاهدا شعريّا في قضية دلالات الأمر ومعانيه عند علماء الأصول؛ عند تفسير قوله تعالى: (كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِين)، ويدرج من كتاب (منتهى الوصول) لابن الحاجب؛ وقال: "صيغة افْعلْ وما في معناها قد صحّ إطلاقها بإزّاء خمسة عشر محملا؛ الوجوب: (أَقِمِ الصَّلَاة)، والنّدب: (فَكَاتِبُوهُمْ)، والإرشاد: (وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ)، والإباحة: (فَاصْطَادُوا)، والتّأديب: "كُلْ ممّا يَليك"، والامتنان: (كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ)، والإكرام: (اُدْخُلوها بِسَلَام)، والتّهديد: (اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ)، والإنذار: (تَمَتَّعُوا)، والتّسخير: (كُونُوا قِرَدَة)، والإهانة: (كُونُوا حِجَارَة)، والتّسوية: (فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا)، والدّعاء: (اِغْفِرْ لَنَا)، والتّمنّي –يستشهد بشعر امرئ القيس: [الطّويل]

[1] – المرجع السّابق، ج1ص252.
[2] – المحرّر الوجيز، ج1ص157.
[3] – الجواهر الحسان، ج1ص471.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:687–709 تاريخ النشر:21–10–2021

"أَلَا اِنْجَلِي"،

وكمال القدرة: (كُنْ فَيَكُون)" –وزاد غيره: كونها للتّعجيز، أعني صيغة "افعل"– ، قال ابن الحاجب: "وقد اتّفق على أنّها مجاز فيما عدا الوجوب والنّدب والإباحة والتّهديد، ثمّ الجمهور على أنّها حقيقة في الوجوب"[1].

– وفي قوله تعالى: (اَلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اَللهَ قِيَاماً وَقُعُودا) الآية [آل عمران: 191]؛ ذكر التّفكّر في قدرة الله تعالى ومخلوقاته والعبر؛ استشهد بقول أبي العتاهية[2]: [المتقارب]

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

2. 6. في السّير والمغازي والرّقائق: يذكر الثّعالبي بعض الإنشادات في تفسيره عند ذكر المغازي والسّير؛ ومنها في تفسير قوله تعالى: (سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ اَلَّذِينَ كَفَرُوا اَلرُّعْب) الآية [آل عمران: ص151]؛ في أعقاب غزوة أحد وعظم كلّ طرف اجتثاث الطّرف الآخر أنشد لأبي سفيان في حواره مع معبد الخزاعيّ[3]: [البسيط]

كَادَتْ تَهُدُّ مِنَ الأَصْواتِ راحِلَتِي إِذْ سَالَتِ الأَرْضُ بِالجُرْدِ الأَبابِيلِ
تَرْدِي بِأُسْدٍ كِرامٍ لَا تَنابِلَةٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَا مِيلٍ مَعازِيلِ
فَظَلْتُ عَدْواً أَظُنُّ الأَرْضَ مَائِلَةً لَمَّا سَمَوْا بِرَئِيسٍ غَيْرِ مَخْذُولِ

– ومنها ذكره لأبيات شعريّة لم يذكرها ابن عطية في مدح النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– والتّبشير به نقلا من كتاب (الآيات والمعجزات) لابن القطّان لشيخ من أهل اليمن يوصي أبا بكر بحملها إلى النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–[4]: [الطّويل]

[1] – الجواهر الحسان، ج1ص255، 256.
[2] – المرجع السّابق، ج2ص149، والمحرّر الوجيز، ج1ص555.
[3] – المرجع نفسه، ج2ص121، 122، والمحرّر الوجيز، ج1ص523.
[4] – المرجع نفسه، ج1ص320.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:687–709 تاريخ النشر:21–10–2021

أَلَمْ تَرَ أَنِّي قَدْ سَئِمْتُ معَاشِرِي وَنَفْسِي وَقَدْ أَصْبَحْتُ فِي الْحَيِّ عَاهِنَا
حَيِيتُ وَفِي الأَيَّامِ لِلْمَـــرْءِ عِبْرَةٌ ثَلاثَ مِئِينَ بَعْدَ تِسْعِينَ آمِنَا
وَقَدْ خَمَدَتْ مِنِّي شَرَارَةُ قُوَّتِي وَأُلْفِيتُ شَيْخاً لَا أُطِيقُ اَلشَّواحِنَا
وَأَنْتَ وَرَبِّ البَيْتِ تَأْتِي مُحَمَّدا لِعَامِكَ هَذَا قَدْ أَقَامَ الْبَراهِنَا
فَحَيِّ رَسُولَ اَللهِ عَنِّي فَإِنَّنِي عَلى دِينِهِ أَحْيَا وَإِنْ كُنْتُ قَاطِنَا

– وفي قوله تعالى: (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ اَلسَّمَاوَاتِ وَالأَرْض) الآية [آل عمران: 191]؛ ذكر قصّة رواها ابن عطية عن أبيه عن بعض علماء المشرق؛ أنّه كان بائتا في مسجد بمصر فصلّوا العشاء، وكان بجوارهم رجل قد اضطجع في كساء له حتّى أصبح، فلمّا أقيمت صلاة الصّبح قام ذلك الرّجل فاستقبل القبلة وصلّى مع النّاس، فظنّه صلّى بلا وضوء، فتبعه وعزم على نصحه، فلمّا دنا منه سمعه ينشد[1]: [المنسرح]

مُنْسَجِنُ الْجِسْمِ غَائِبٌ حَاضِرْ مُنْتَبِهُ الْقَلْبِ صَامِتٌ ذَاكِرْ
مُنْبَسِطٌ فِي الغُيُوبِ مُنْقَبِضٌ كَذَاكَ مَنْ كَانَ عارِفاً ذَاكِرْ
يَبِيتُ فِي لَيْلِهِ أَخَا فِكْـــرٍ فَهْوَ مَدى اللَّيْلِ نَائِمٌ سَاهِرْ

فعَلِم بأنّه من أهل التّعبّد بالفكرة والتّدبّر.

3. الإشارة إلى وجود الشّواهد دون ذكرها:

– يشير إلى وجود شعر ولا يذكره؛ كما في تفسير قوله تعالى: (لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُون): "أي لا يؤخّرون عن العذاب، ويحتمل أن يكون من النّظر، نحو

[1] – الجواهر الحسان، ج2ص151، والمحرّر الوجيز، ج1ص555.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:687–709 تاريخ النشر:21–10–2021

قوله تعالى: (وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَة)، والأوّل أظهر؛ لأنّ النّظر بالعين إنّما يعدّى بـــ "إلى" إلّا شاذّا في الشّعر"[1]، ولا يذكر الشّواهد.

– وفي كلمة "رياح" في قوله تعالى: (وَتَصْرِيف الرِّيَاح)، ذكر وجوهها اللّغويّة: "... وهي لفظة من ذوات الواو، يقال: ريح وأرواح، ولا يقال أرياح، وإنّما يقال رياح من جهة الكسرة وطلب تناسب الياء معها، وقد لُحّن في هذه اللّفظة عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير، فاستعمل "الأرياح" في شعره، ولحّن في ذلك، وقال له أبو حاتم: إنّ الأرياح لا يجوز، أما تسمع قولهم رياح، فقال أبو حاتم: هذا خلاف ذلك، فقال: صدقت، وجع"[2]، و لم يذكر تلك الشّواهد الشّعريّة.

الخاتمـــة:

– الشّيخ عبد الرّحمن الثّعالبيّ كان غزير التّأليف والنّشاط الفكريّ والتّربويّ والرّوحي، ساعده في ذلك منهجه المتميّز في تهذيب المطوّلات واختصارها والتّعليق عليها، ونلاحظ تأثير منهج أهل الحديث في نقله من المطوّلات بحيث يتحرّى النّقل الدّقيق إلّا ما كان من حذف ما يراه غير مناسب وغير ملائم، كيف لا وهو من حفّاظ الحديث النّبويّ الشّريف، و(صحيح البخاري) تحديدا والمتفوّقين في روايته كما رأينا، وخلصنا إلى أن منهجه يرتكز على: النّقل والانتقاء والاختصار، ثمّ التّعليق والاستدراك بكتب أخرى غير الكتاب الأصليّ الّذي اختصره.

– يتّضح لنا جليا منهج الثّعالبيّ هذا من خلال كتابه في التّفسير (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) وذَيْليه المعجم المختصر والمرائي، فقد عمد في تفسيره إلى كتاب (المحرّر

[1] – المرجع نفسه، ج1ص348.
[2] – المرجع نفسه، ج1ص351.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:687–709 تاريخ النشر:21–10–2021

الوجيز) في التّفسير لابن عطية المحاربي، فلخّصه بانتقاء ما احتاج إليه ثمّ حذف ما رآه حشوا أو لا تحتاج العامّة إليه، ثمّ رصّع ذلك المختصر –وقد سمّاه فعلا المختصر–، بجواهر انتقاها من تفاسير وكتب أخرى في فنون متنوّعة كالحديث وعلم الكلام والعقائد والقراءات والعربيّة، وأضافها إلى مواضعها من ذلك المختصر، فاستوى الكتاب على سوقه جواهر متراصّة مترابطة، سمّاها: (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، ثمّ ذيّل ذلك التّفسير بمعجم لغويّ مختصر في شرح الغريب الوارد فيه.

– ينطلق هذا البحث من إشكالية مدى حضور الشّاهد الشّعريّ في التّفسير، وقد رأينا أنّ الثّعالبيّ كان يعدّ الشّاهد حشوا لا يخدم مقام الاختصار الّذي ارتضاه منهجا في التّأليف، فكثيرا ما يحذف الشّواهد الشّعريّة ويُسقطها، إلّا ما لم يسعه المقام في اختصاره، فجاءت شواهده قليلة، أغلبها في شرح مفردات القرآن الكريم، وبعضها في ضبط تعدّد القراءات، والنّحو، وندر في البيان والبلاغة، وكذلك في مسائل أصول الفقه والكلام والرّقائق، وهذا يعطينا انطباعا عن اهتمام الثّعالبيّ بضبط مفردات القرآن الكريم ضبطا دقيقا، وهو ما يفرضه عليه منهج التّحرّي في النّقل.

– أخذنا نماذج تطبيقيّة في نقل الثّعالبيّ لشواهد الشّعر من مقدّمات تفسيره وسورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، وتتبّعنا مواضع توظيفها، وعلى أساسها وزّعناها بحسب تلك المواضع، فأغلبها يوردها في شرح مفردات القرآن الكريم ضبطا ودلالة، ثمّ في الإعراب والبيان والمعاني، وأقلّها في مسائل الأصول والرّقائق والمغازي.

– رأينا أنّ المادّة الشّعريّة القليلة الّتي ذكرها الثّعالبيّ تستحقّ الدّراسة والتّحليل، فانطلق العمل من تساؤل حول المادّة المنقولة في ذاتها، ولماذا اعتنى بها دون غيرها، وما مواضع توظيفها واستعمالها.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:687–709 تاريخ النشر:21–10–2021

– رأينا أنّ معظم المادّة الشّعريّة –وهي قليلة– نقلها الثّعالبيّ من تفسير (المحرّر الوجيز) لابن عطية، وشدّت بعض الأبيات الشّعريّة الّتي أخذها من غيره، تبعا لمصادره الّتي استقى منها مادّته، أبرزها كتاب (إعراب القرآن) للصّفاقسيّ، وفي المغازي والسّير كتاب (الآيات والمعجزات) لابن القطان.

– ترجع قلّة المادّة الشّعريّة في تفسير (الجواهر الحسان) في نظرنا إلى منهجه العامّ في الاختصار، فيذكر مقصوده من الكلام على آي القرآن مع حذفه للشّواهد الشّعريّة إلّا ما ندر، ويرجع أيضا لاهتمامه بالأحاديث النّبويّة الشّريفة، فقد كان أكثر إيرادا لها من ابن عطية، برجوعه إلى الصّحاح والسّنن والمسانيد، واستئناسه بالمستخرجات والمستدركات عليها.

– منهج الثّعالبي في توظيف الشّاهد الشّعريّ لا يخرج عن منهجه العامّ في التّأليف؛ وهو الاختصار والاقتصار بالنّقل والتّصرّف بالحذف والاكتفاء بالمقصود، مع التّوسّع في إيراد الأحاديث النّبويّة الشّريفة.

– ينبغي تخصيص رسالة أو أكثر من عمل أكاديمي للإلمام بجميع جوانب موضوع الاحتجاج بالشّعر وقضاياه في التّفاسير، وتفسير الثّعالبيّ خاصّة.

– المصادر والمراجع:

– ابن تيمية، الحراني، مقدّمة في أصول التّفسير، تحقيق: عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، الكويت، ط1، 1391هـ.

– ابن جزي، أبو القاسم محمّد بن أحمد الكلبي، التّسهيل لعلوم التّنزيل، تحقيق: اليونسي وإبراهيم عطوه، دار الكتب الحديثة، مصر، دت.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:687–709 تاريخ النشر:21–10–2021

– ابن عطية المحاربي، أبو محمّد عبد الحقّ بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2001م.

– ابن عطية، عبد الحقّ بن غالب المحاربي، المحرّر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، تحقيق المجلس العلميّ بفاس، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، الرباط، 1975م.

– أبو بكر، ابن العربي، أحكام القرآن، تحقيق: علي البجاوي، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، ط2، 1387ه.

– أبو حيان، الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ط2، 1403هـ.

– بنيرد، حاج، "عناوين كتب التّراث"، مجلّة آفاق الثّقافة والتّراث، مركز جمعة الماجد، دبي، العدد 94، يونيو 2016م.

– الثّعالبي، عبد الرّحمن بن محمّد، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: عمّار طالبي، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1981م.

– الثّعالبي، عبد الرّحمن، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: عليّ محمّد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط1، 1997م.

– الثّعالبي، عبد الرحمن، غنيمة الوافد وبغية الطّالب الماجد، تحقيق: محمّد شايب شريف، عالم المعرفة، الجزائر، 2011م.

– الجزائري، أحمد بن عبد الله، مراثي الثّعالبي (مخطوط)، المكتبة الوطنيّة الجزائريّة، الجزائر، رقم: 2241.

– الحفناوي، أبو القاسم محمّد بن أبي القاسم، تعريف الخلف برجال السّلف، ج2، المكتبة العتيقة، تونس،ط2، 1985.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:687–709 تاريخ النشر:21–10–2021

– سعد الله، أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1990م.

– الطّرهوني، محمّد بن رزق، التّفسير والمفسّرون في غرب إفريقيا، دار ابن الجوزي للنّشر والتّوزيع، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1426هـ.

– قسوم، عبد الرّزاق، عبد الرّحمن الثّعالبي والتّصوّف، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط1، 1978م.